

كَان يَامَا كَان

شعر قصصى للأطفال

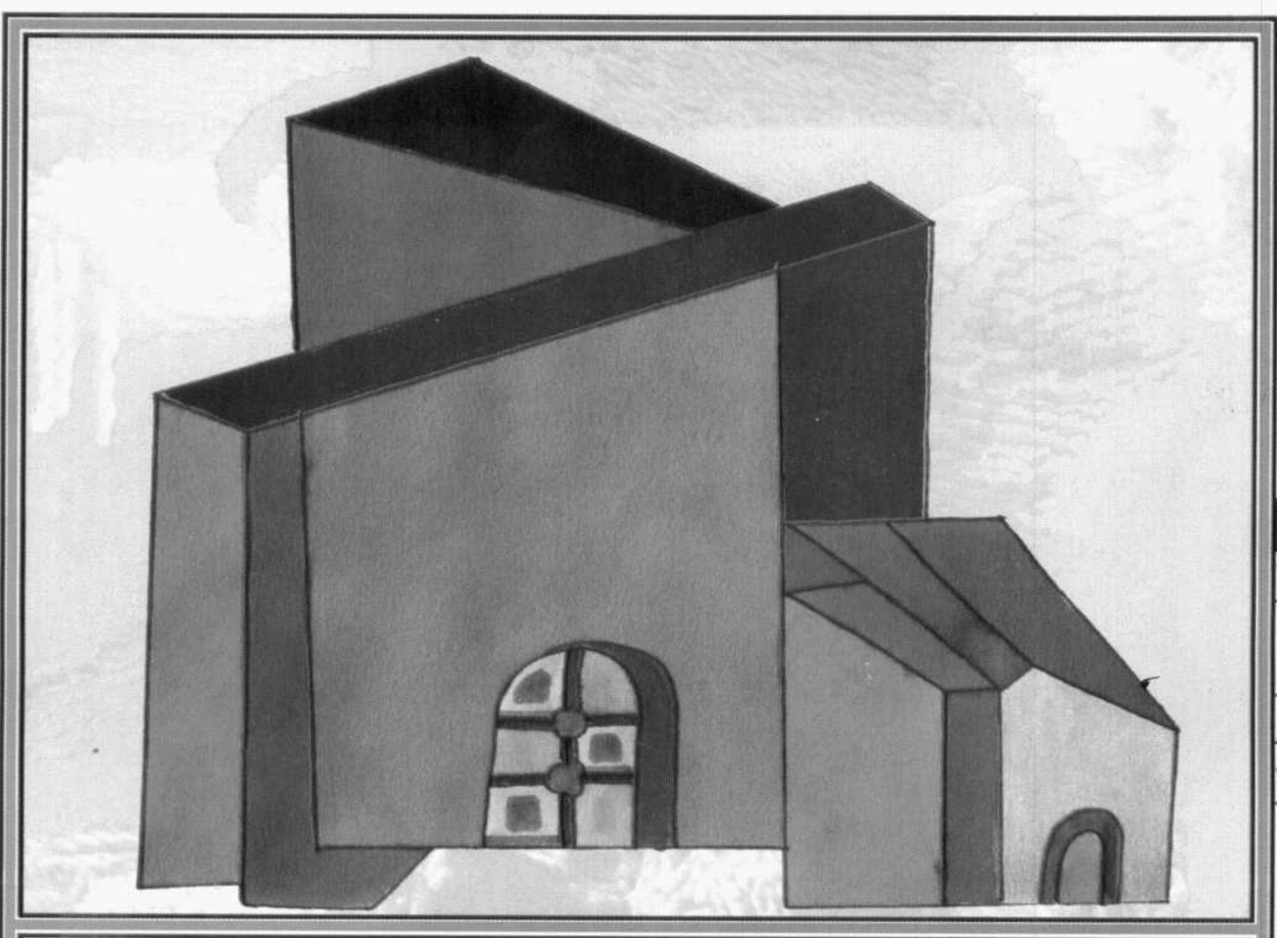
شعر: حسين على محمد  لوحات: محمود الهندى





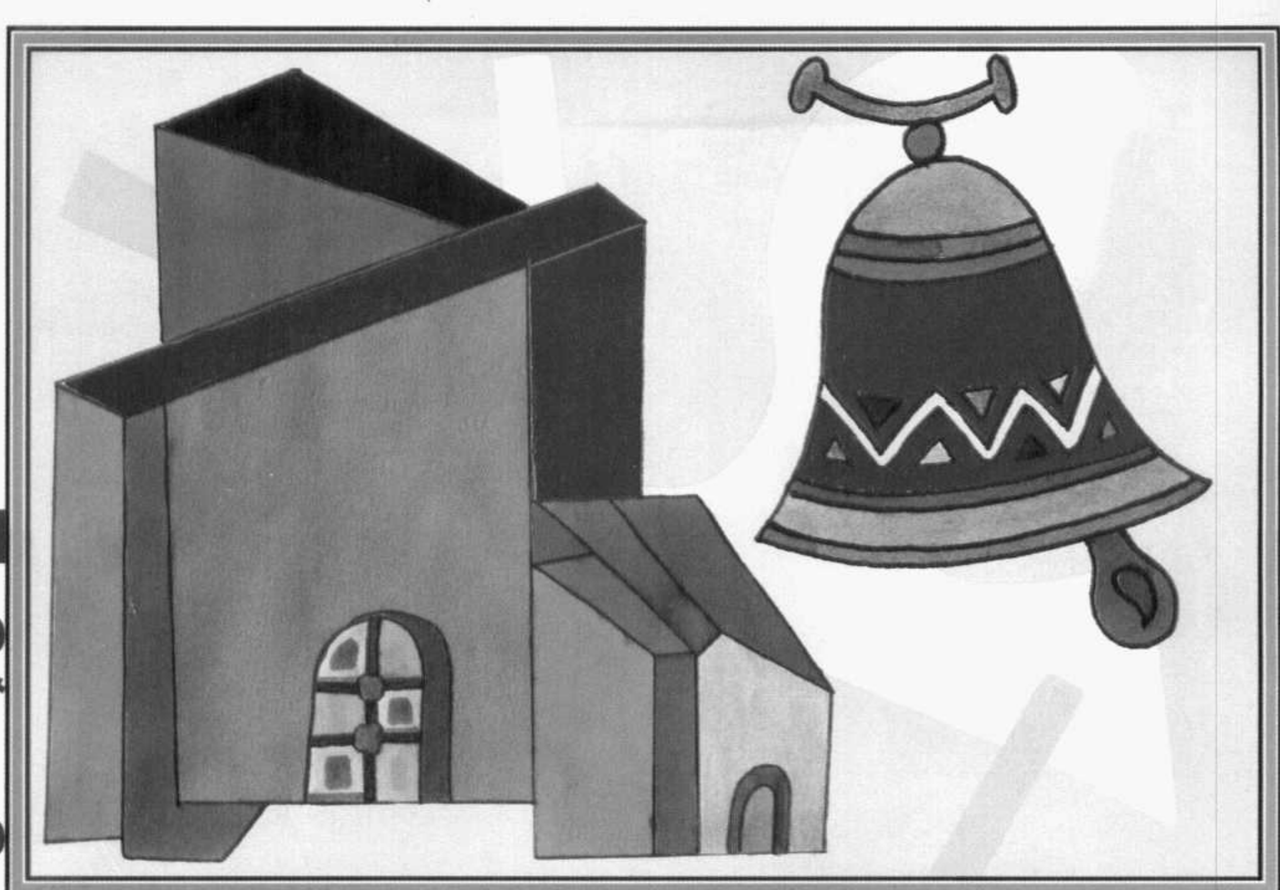
الثَّوْرُ العَجُوزُ

كانَ السُّلْطانُ حَبيبَ الشعبْ
يَفْتَحُ بابَهْ
فى كلِّ صَباحٍ للفُقَراءْ
كىْ يسمعَ شكوى كلِّ ضعيفٍ مَظْلومٍ منهمْ
وليُنْصِفَهمْ



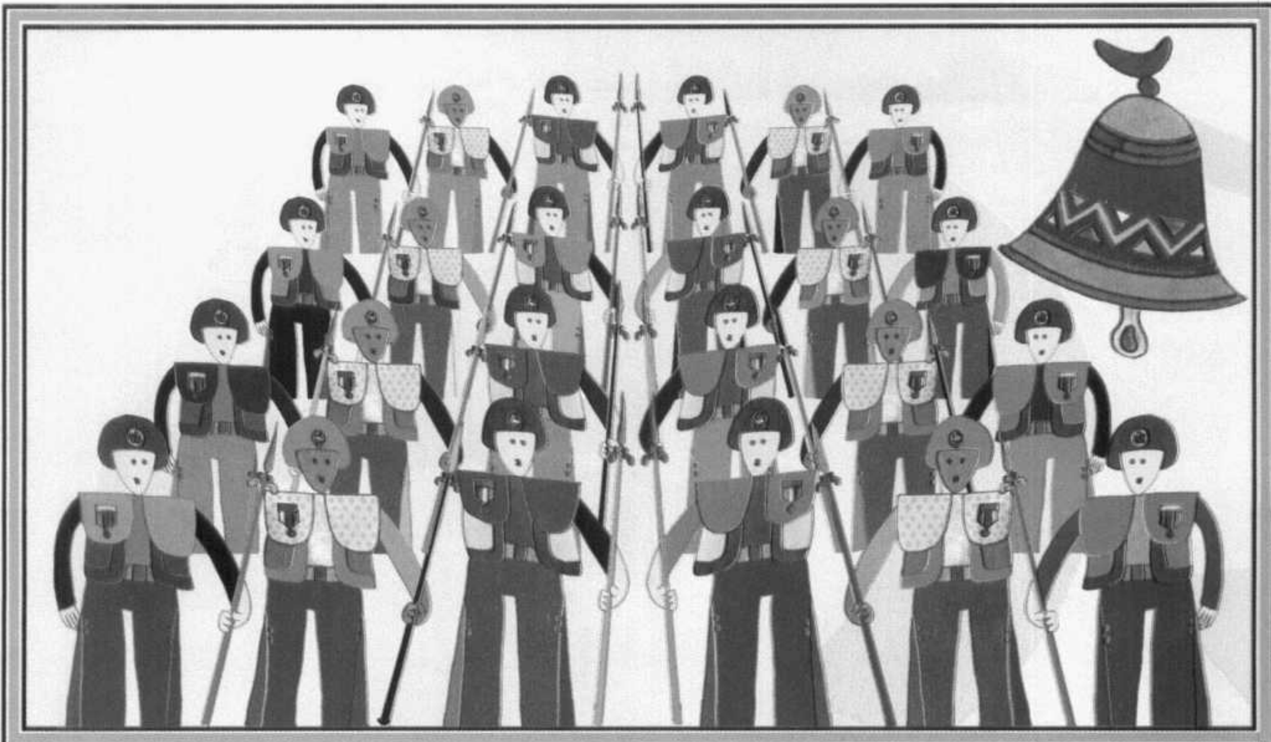
لْم يُنْشِئْ* قصْراً فخْماً يجلسُ فيهْ
لْم يجعلْ أسْواراً عاليةً
تَحْجبُ صوْتَ الشَّعبَ الهادر* عنْه
لْم يجعلْ بينَ الحاكمِ والمحكومِ وسيطاً

■ ينشئ: يبني.
■ الهادر: الشديد المرتفع.



بلْ علَّقَ جَرَساً ضَخْماً
تَتَدَلَّى▪ منهُ حِبالْ
لوْ أحَدُ الأفرادِ أرادْ
أنْ يلْقَى▪ السُّلطانْ
دقَّ الجَرَسَ وقابَلَهُ فى الحالْ

▪ تتدلى: تنزل.
▪ يلقى: يقابله ويلتقيه.



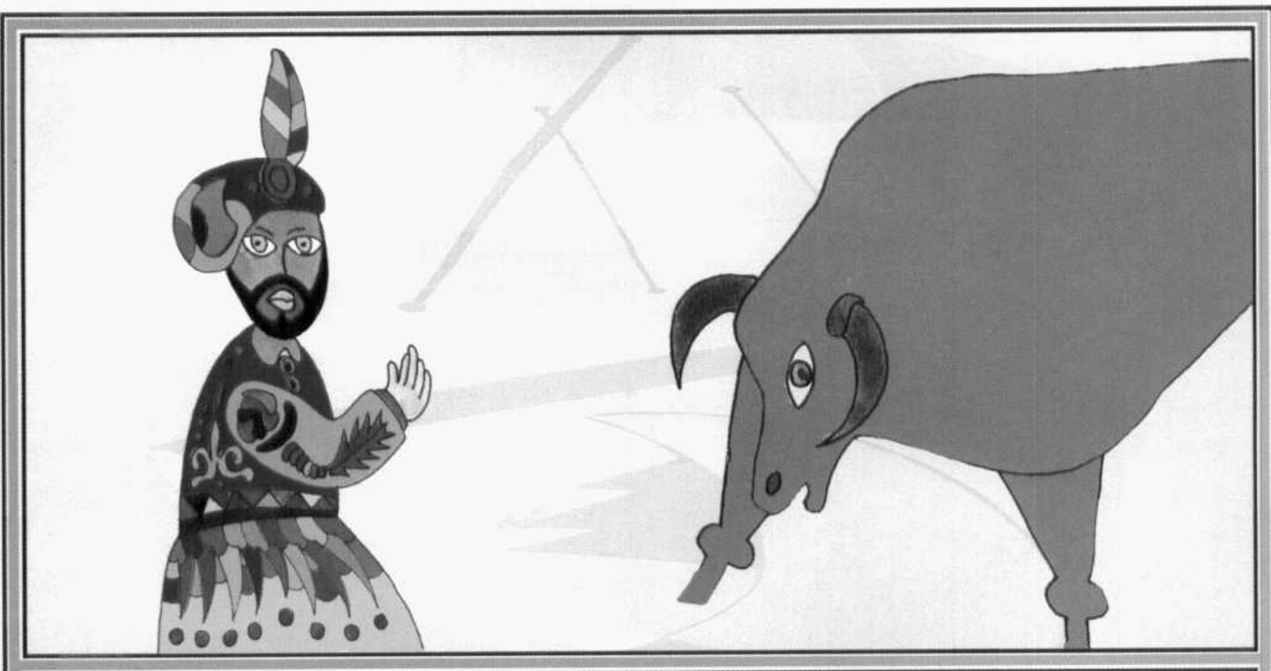
فى يَوْمٍ دَقَّ الجرسُ،
ولمَّا خرَجَ الحُرَّاسْ
وجَدُوا ثَوْراً أَضْنَاهُ■ المَرَضُ على البابْ
يَتَهَالكُ■ فى إعْياءْ
حاولَ أن يدخُلْ
لكنَّ الحُرَّاسَ تَصَدَّوْا■ لهْ
وَقَفُوا فى وجْهِهْ

■ أضناه: أتعبه.
■ يتهالك: التهالك هو شدة التعب والسقوط.
تصدوا له: وقفوا لمنعه.



نَظَرَ السُّلطانُ من الشُّرفةْ
وَجَدَ الثَّورَ ووجدَ الحُرَّاسَ يصدُّونَهْ
خرجَ السُّلْطانُ إلى البابْ
يسألُ حاجبَهُ عثمانْ
عنْ سَببِ مَجيءِ الثَّوْرِ إلَيْهْ

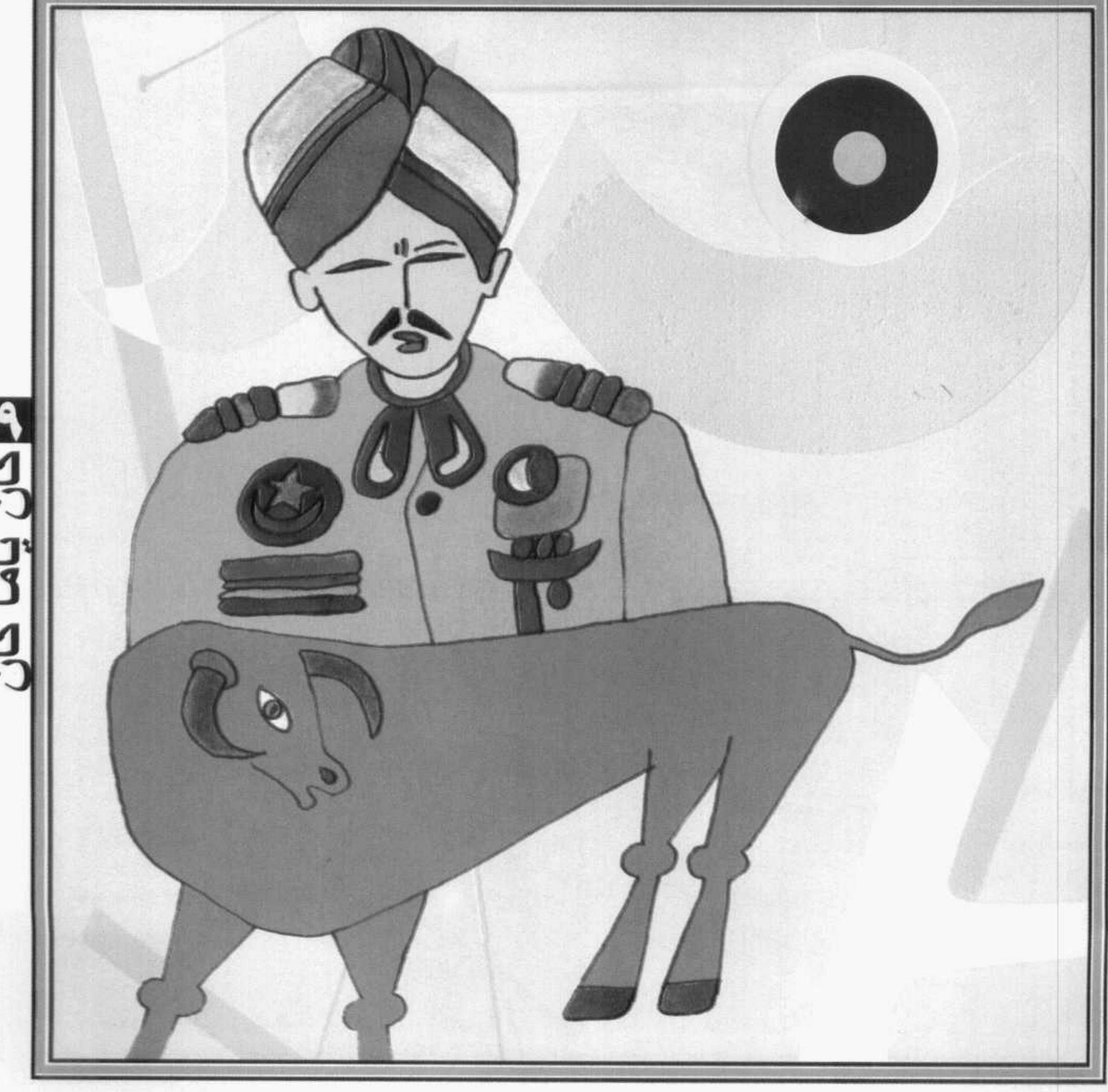
- الشرفة: النافذة / الشباك.
- يصدونه: يمنعونه.

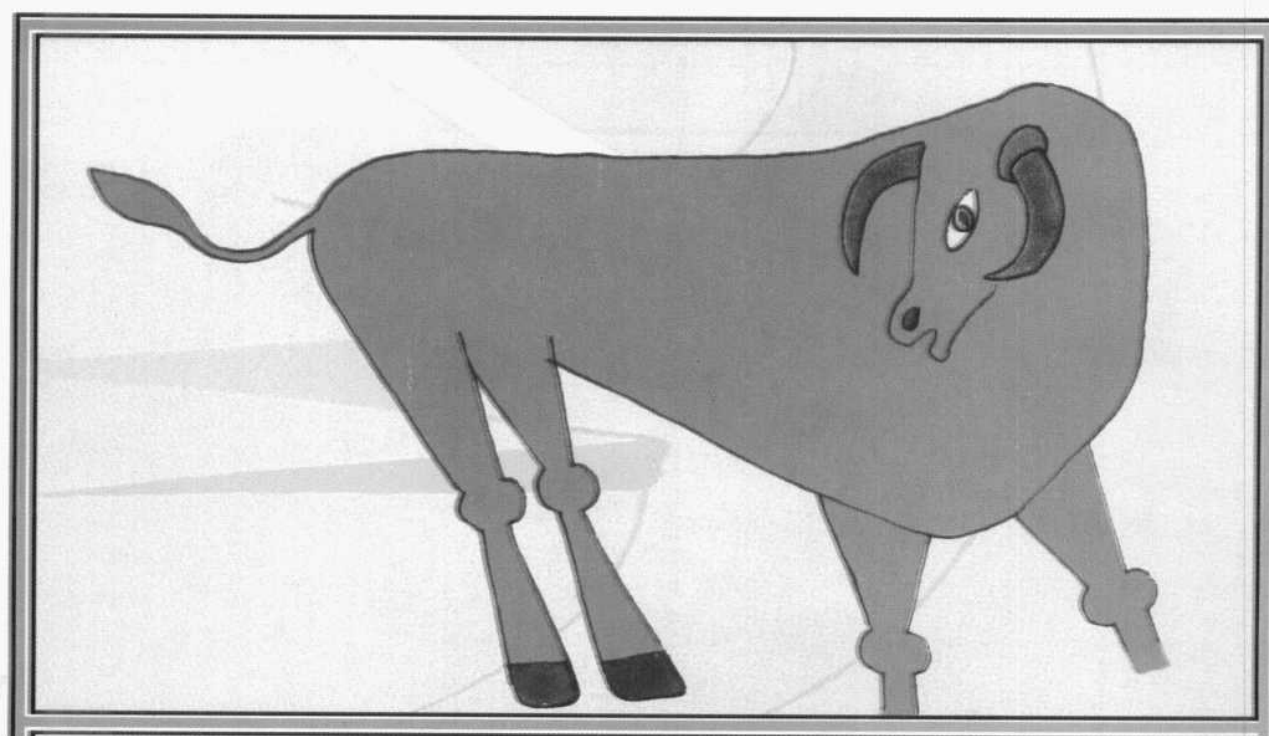


قالَ الحاجبُ: يا مَوْلانا السُّلطانْ
هذا الثورُ ضَعيفٌ
ذَهَبَتْ صحتُّهُ
خارتْ▪ قُوَّتُهُ
وتَحَيَّر عُثمان لبُرْهةْ▪
ثمَّ أضافْ:
هذا الحَيَوانْ
يَطْلُبُ منكَ الرَّحْمَةَ والإنْصَافْ!

▪ خارت: ضعفت.

▪ لبرهة: فترة قصيرة جداً.





كانَ صَغيراً
لمَّا جاءَ إليْكَ من السُّوقْ
لحَظيرَتكَ العامرَة، وأخذَ يُشاركُ فى أعْمالِ الحقلْ
عملَ كثيراً عندكَ حتى أضْنَتْهُ الأيامْ
لكنَّ كبير الخدَمِ، وأعْنى «مَحْروساً» ذا القلبِ الصَّخْرىّ
يَطْرُدُهُ اليومْ
ليَهيمَ* على وَجْههْ!

■ ليهيم: ليمشى بلا هدف.



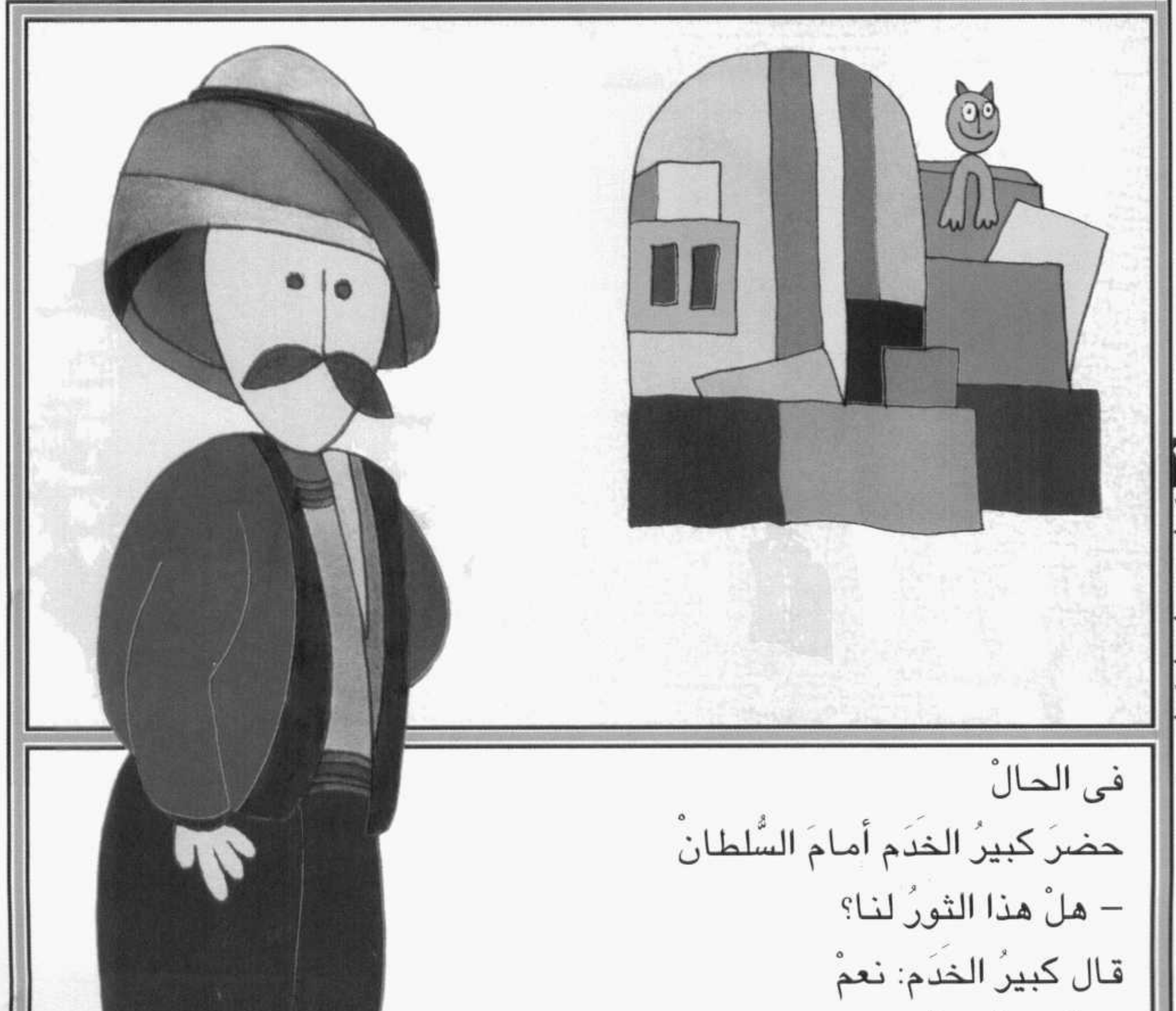
ابتسَمَ السُّلطانُ وقالَ لعُثمانْ:

أنتَ أمينٌ وشُجاعْ

لْم تَخْدَعْنى بالأقوالِ البَّراقَهْ■

أحْضِرْ لى مَحْروساً

■ البراقة: المضيئة اللامعة مثل الوعود.



فى الحالْ

حضرَ كبيرُ الخَدَم أمامَ السُّلطانْ

– هلْ هذا الثورُ لنا؟

قال كبيرُ الخَدَم: نعمْ

لكنْ يا مَوْلاىْ

أصبحَ لا يَقْدرُ أن يَفْعَلَ شيئاً فَطَرَدْتُهْ



وهُنَا، لم يَصْبرْ عثمانُ الحاجبْ
قالَ: اسْمَحْ لى يا مَولاىَ السُّلطانْ
أنْ أسْألَ مَحْروساً:
اصْدُقْنى يا محروسْ
هلْ لوْ مَرِضَتْ زوجُكْ
أو أحَدُ الأطْفالْ
تَطْردُهُ من بَيْتكْ؟



وأجابَ كبيرُ الخَدَمِ لِتَوِّهْ■:
لا.. يا عُثْمانْ
كيف بربِّك أطْرُدُ فَرْداً من أفْرادِ الأُسرهْ؟
فأجاب الحاجبُ: يا محروسْ
هذا العملُ الأحْمَقُ■ لا يُرْضِي مَوْلانا السلطانْ
لايَحْسُنُ أن تَطْرُدَ هذا الثَّوْرْ
قدْ خَدَمكَ طُولَ العُمْرْ

■ لتوه: فى الحال.
■ الأحمق: قليل العقل.



والآنْ..

وَجَبَ■ عَلَيْكَ الشُّكْرْ

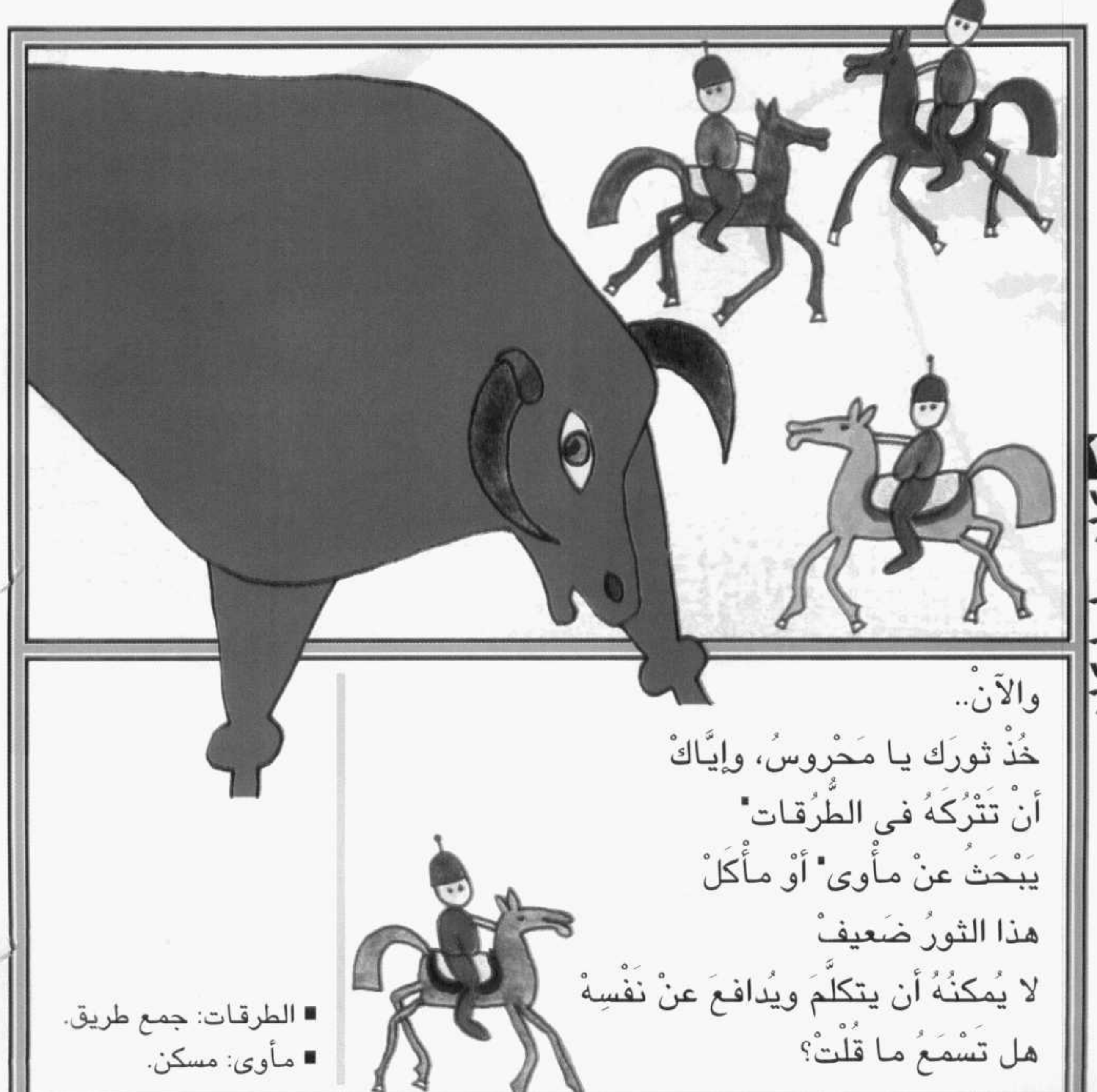
هلْ نَغْدرُ■ بالحَيَوانْ؟

ضَحكَ السُّلطانُ، وقالْ:

هذا قَوْلٌ طيِّبْ

■ وجب: لزم واستحق.

■ نغدر: نخون.



والآنْ..

خُذْ ثورَك يا مَحْروسُ، وإيَّاكْ

أنْ تَتْرُكَهُ فى الطُّرُقات■

يَبْحَثُ عنْ مأْوى■ أوْ مأْكَلْ

هذا الثورُ ضَعيفْ

لا يُمكنُهُ أن يتكلَّمَ ويُدافعَ عنْ نَفْسِهْ

هل تَسْمَعُ ما قُلْتْ؟

■ الطرقات: جمع طريق.

■ مأوى: مسكن.



أخذَ الرَّجلُ الثورَ وعادْ

لحَظيرَتهِ

صَوْتُ السلْطان يَرنُّ بأُذُنَىْ مَحْروسْ:

يا محروسُ تعلَّمْ أنْ تَحْترَمَ الطَّاعِنَ▪ فى السِّنّ

وتُوفِّرَ سُبُلَ▪ الراحةِ لهْ

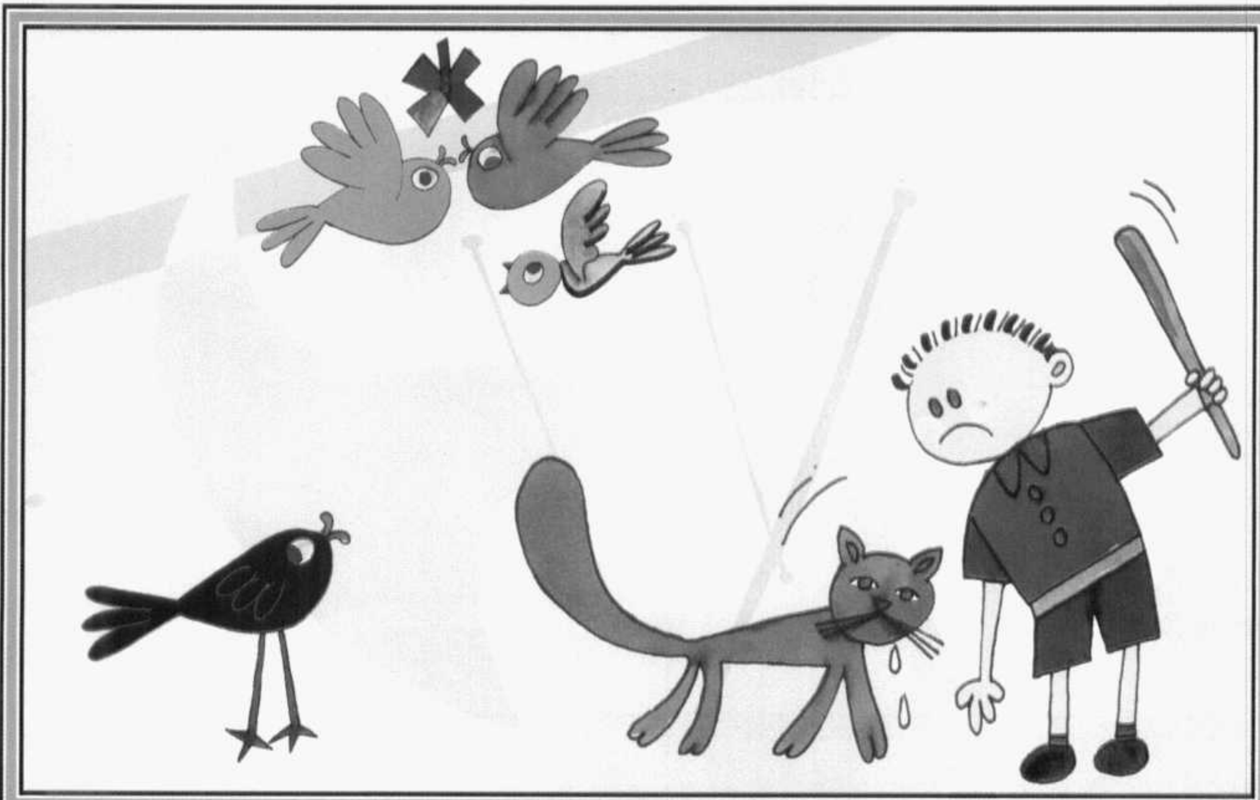
وخُصُوصاً لوْ كانَ من الحَيَوانِ الأعْجَمْ▪

لا يَعْرفُ أنْ يتكلَّمْ

▪ الطاعن: الشيخ العجوز.

▪ سبل: وسائل.

▪ الأعجم: الأخرس.

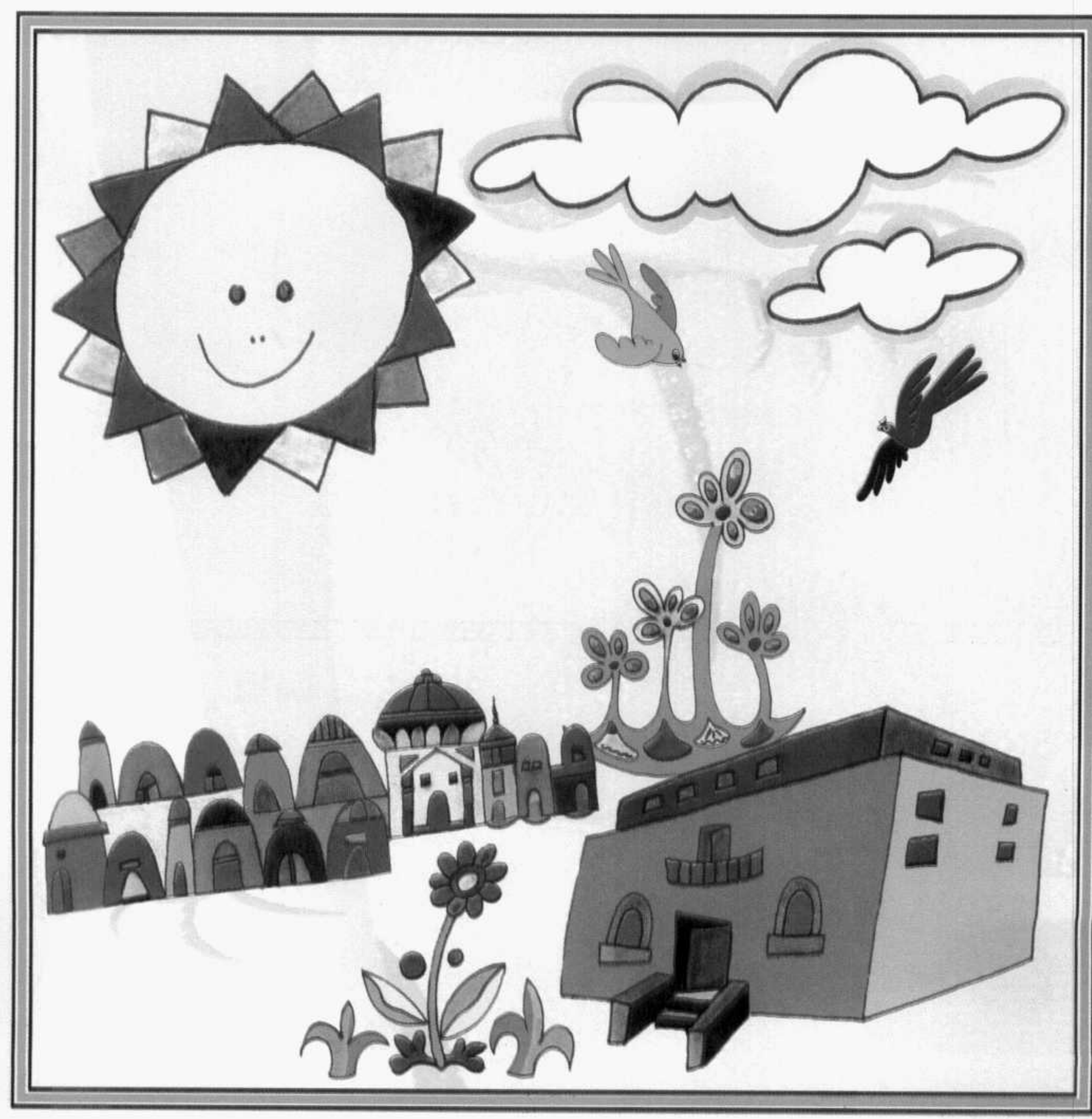


كمْ مِنْ جاهلْ
نُبْصرُهُ يَضْرب تلك الحيَوانات بلا رَحْمهْ
معْ أنَّ الحيَوانَ يؤدِّى أعْمالاً صَعْبةْ
لا يطْلُبُ أُجْرَهْ
لوْ نَطَقَ لكشَفَ لنا
ظُلْمَ الإنسانِ وشَرَّهْ.



كَانْ يَامَا كَانْ

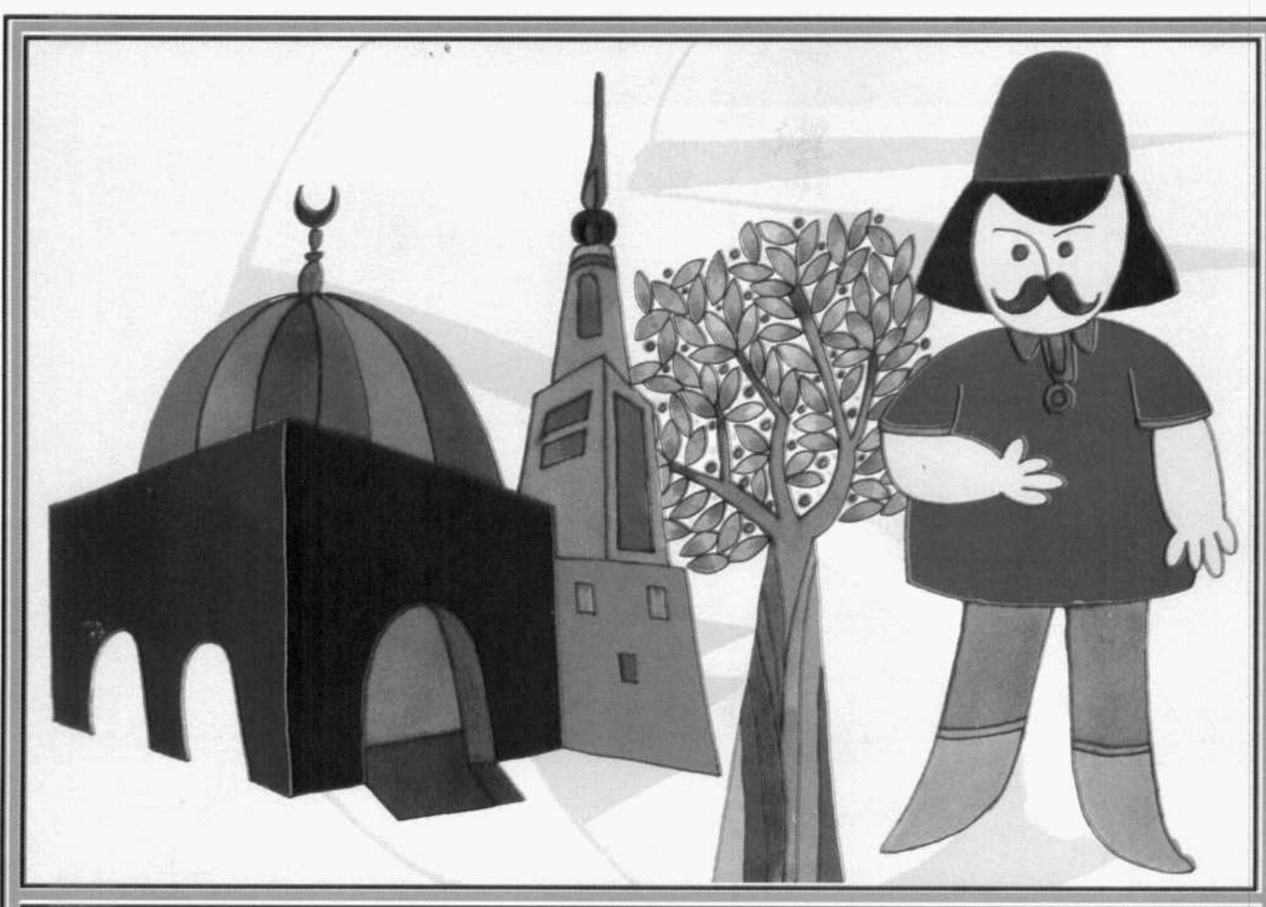
اسْمى حمدان
أتَحَدَّثُ معكمْ عَبْرَ قرونِ التاريخْ
بلَدى الفُسْطاطُ العربيَّهْ
أصْنَعُ سجَّاداً وأُزَخْرِفُهُ كعَرُوسْ
تَعْرِفُنى كلُّ المدُن وتَعْشَقُ مَصْنُوعاتى





فى أثْناءِ الأسْفارْ
أجدُ الأطْفالَ عَرايا.. يفْتَرِشونَ تُرابَ الأرْضِ فَأَحْزَنَ
أتَمَنَّى أنْ يَجدَ الأطْفالُ بيوتاً
تَحْميهمْ منْ حَرِّ الشمسْ
وتَقيهمْ* شَرَّ الأمْطَارْ
لكنْ.. ماذا أفعلْ؟
ماذا يُمْكِنُنى أنْ أفعلْ؟

* تقيهم: تمنع عنهم.



بـالأمسْ

جاءَ إلى السُّوق الفـارسُ «نعمـانْ»

كانَ يرافقُهُ قـارعُ طَبْلِ الملَك.. وأعْلَنَ فى الطُّرُقاتْ

أنَّ الملَك يُنظِّمُ فى غَدِهِ أُمْسِيَةً للقصَص وللأشْعَارْ

والفـائزُ فى هَذهِ الأمْسيةِ سَيأْخُذُ ألْفَىْ دينار■

■ دينار: عملة عربية.

حانَ الوَقْتُ
ووَقَفْتُ أمامَ الباب كثيراً أنْتَظِرُ الدَّوْرْ
قال الشُّعَراءُ الشِّعْرَ
وقَصَّ القَصَّاصُونَ حكاياتْ
لمَّا أدْخَلَنى الفارِسُ «نعْمانْ»
قُلْتُ:
«افْسَحْ لى صَدْراً يا مَوْلاىْ»
كانْ..
يا مَا كانْ»



فى يَوْمٍ منْ أيَّام الصَّيْفْ
ذهب «سمارا» النجَّارُ لقَطْع الأشْجَار
من الغابهْ فاقْتَرَبَ الفارسُ منهُ وقالْ:
أرْجُو أن تَبْتَعدَ الآنْ
فالمَلكُ سَيَأْتى بعدَ ثوانْ
فى موْكبِهِ المَلَكىّ



وَقَفَ «سماراً» خَلْفَ الأشْجارْ
يَرْقُبُ هذا الملَك المَحْبُوبْ
وتَصَادفَ أنْ جلَسَ الملكُ وأصْحَابُهُ
فى ظلِّ الشَّجَرةْ
أغْفَى ■ الملكُ قَليلاً
فَتَشاجَرَ رَجُلانْ
منْ حاشيَتِهْ ■

- ■ أغفى: نام نومة خفيفة.
- ■ حاشيته: صحبته وأتباعه.



وصَحا الملكُ سريعاً مَفْزوعاً

وهو يَقُولُ:

«لا أَقْدرُ أن أغْفُوَا أبداً

فى ظلِّ مكانٍ تَصْطَحبانى فيهْ

لا أدْرى أيُّكُما الملَكُ وأيُّكُما الشَّيْطان؟»

فى هذا الوقتْ

لَمَحَ الملكُ خيالَ «سمارا» النجَّار

فأشارَ إليْه



حَضَرَ النجَّارُ ووقَفَ شُجاعاً بينَ يدَيْه
قال الملكُ: لماذا جئْتَ هُنا؟
قال «سمارا»:
إنى أسْمَعُ عن عدْلكْ
ولذا أحْبَبْتُكْ
مثلَ جَميعِ رعاياك ■
كان الحُلْمُ الشاغلُ ذهْنى
أن أُبْصرَكَ وأن أسْتمتعَ بجَميلِ حديثكْ
ولقدْ جئْتُ ليَعْرفُ مَوْلاىَ الآنْ
هذَيْنِ الرجُليْنْ
أيُّهما المَلكُ، وأيُّهما الشَّيْطانْ؟

■ رعاياك: قومك.



رَسَمَ «سمارا» خَطَّيْنْ
أَحَدُهُمَا أَكْثَرُ طُولاً مِنْ صَاحِبِهِ
وتَوَجَّهَ للشَّخْصَيْنْ:
يَسْأَلُ ويُحَاوِرُ:
كَيْفَ يَصِيرُ الخَطُّ الأَقْصَرُ أَطْوَلَ مِنْ صَاحِبِهِ الأَكْثَرِ طُولاً؟



قالا فى صَوْت واحدْ:

«نَمْسَحُ جُزْءاً من هذا الخطِّ الأكْثرِ طُولاً»

ضَحك «سمارا» النجَّارُ، وقالْ:

لا يلْمَسْ أحدُكُما هذا الخَطَّ الأكْثرَ طُولاً

فَدَعَاهُ وشَأْنَهْ

العاقلُ منْ يَجْعَلُ هذا الخَطَّ الأقْصَرَ أكْثَرَ طُولاً

حينَ يُضيفْ

بَعْضَ السَّنتيمتْرات

وابْتَسَمَ الملكُ، وقالَ أصَبْتَ*

■ أصبت: توصلت للهدف.



إنَّ الإنسانْ
لا يَقْدرُ أن يُصْبحَ شيئاً فى هذه الدُّنيا
إلا لوْ قَدرَ يُضيفْ
بَعْضَ اللَّبناتِ ويَسْعَى للخَيْرْ
لا تَمْحُ▪ الشَّخْصَ الآخَرَ
بلْحاولْ أن تتفوَّقَ وتُضيفَ إلى ما يَفْعلُهُ الآخرْ

▪ لا تَمْحُ:
لا تُلْغِ.



فرحَ الملكُ وقـالْ:

إنَّكَ رَجُلٌ عـاقلْ

أنتْ من الآن «وزيرى»



سُرَّ الملكُ من القصَّهْ
أعْطاني ألْفَىْ دينارْ
شُكراً للَّه
فَسَأبْنى ملْجأَ أيْتامْ
لنْ تجدَ الأطْفالَ عَرايا بعدَ اليوْمْ
هَأنذا أقْدرُ أنْ أفعلَ شيئاً
منْ أجْلِ قُلوبٍ تتَعذَّبُ ونفُوسُ

....

فى أوْقات فَراغى
سَترانى أصْنعُ سجّاداً
وأُزَخْرِفُهُ كعَرُوس.

شركة الأمل للطباعة والنشر

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٢٢٢٦٩